

## التحرير والتنوير

وفي الآية إشارة عظيمة إلى أن أمور الجزاء في الأخرى تجري على ما رتبته الله وأعلم به عباده . وأن نظام أمور الدنيا وترتيب مسبباته على أسبابه أمر قد وضعه الله تعالى وأمر بالحفاظ عليه وأرشد وهدى فمن فرط في شيء من ذلك فقد استحق ما تسبب فيه .  
( فأذرتكم نارا تلظى [ 14 ] لا يصلها إلا الأشقى [ 15 ] الذي كذب وتولى [ 16 ]  
وسيجنبها الأتقى [ 17 ] الذي يؤتي ماله يتزكى [ 18 ] وما لأحد عنده من نعمة تجزى [ 19 ]  
إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى [ 20 ] ولسوف يرضى [ 21 ] ) يجوز أن تكون الفاء لمجرد التفريع  
الذكري إذا كان فعل ( أذرتكم ) مستعملا في ماضيه حقيقة وكان المراد الإنذار الذي اشتمل  
عليه قوله ( وأما من بخل واستغى وكذب بالحسنى فسنيصره للعسرى ) إلى قوله تعالى ( تردى  
( . وهذه الفاء يشبه معناها معنى فاء الفصيحة لأنها تدل على مراعاة مضمون الكلام الذي  
قبلها وهو تفريع إنذار مفصل على إنذار مجمل .

ويجوز أن تكون الفاء للتفريع المعنوي فيكون فعل ( أذرتكم ) مرادا به الحال وإنما  
صيغة في صيغة المضي لتقريب زمان الماضي من الحال كما في : قد قامت الصلاة وقولهم : عزم  
عليكم إلا ما فعلت كذا أي أعزم عليك ومثل ما في صيغ العقود : كبتت وهو تعريف على جملة ( إن  
علينا للهدى ) والمعنى : هديكم فأذرتكم إبلاغا في الهدى .  
وتنكير ( نارا ) للتهويل وجملة ( تلظى ) نعت . وتطفى : تلتهب من شدة الاشتعال . وهو  
مشتق من اللظى مصدر : لظيت إذا التهبت وأصل ( تلظى ) تطفى بتاء بين حذف إحداهما  
للاختصار .

وجملة ( لا يصلها إلا الأشقى ) صفة ثانية أو حال من ( نارا ) بعد أن وصفت . وهذه نار  
خاصة أعدت للكافرين فهي التي في قوله ( فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت  
للكافرين ) والقرينة على ذلك قوله ( وسيجنبها الأتقى ) الآية .  
وذكر القرطبي أن أبا إسحاق الزجاج قال هذه الآية التي من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء  
فزعوا : أن لا يدخل النار إلا كافر وليس الأمر كما ضنوا : هذه نار موصوفة بعينها لا يصل  
هذه النار إلا الذي كذب وتولى ولأهل النار منازل فمنها أن المنافقين في الدرك الأسفل من  
النار اه .

والمعنى : لا يصلها إلا أنتم .

وقد أتبع ( الأشقى ) بصفة ( الذي كذب وتولى ) لزيادة التنصيص على أنهم المقصود بذلك  
فإنهم يعلمون أنهم كذبوا الرسول A وتولوا أي أعرضوا عن القرآن وقد انحصر ذلك الوصف

فيهم يومئذ فقد كان الناس في زمن ظهور الإسلام أحد فريقين : إما كافر وإما مؤمن تقي ولم يكن الذين أسلموا يغشون الكبائر لأنهم أقبلوا على الإسلام بشراشرهم ولذلك عطف ( وسيجبنها الأتقى ) الخ تصريحاً بمفهوم القصر وتكميلاً للمقابلة .

والأشقى والأتقى مراد بهما : الشديد الشقاء والشديد التقوى ومثله كثير في الكلام . وذكر القرطبي : أن مالكا قال : صلى بنا عمر بن عبد العزيز فقرأ ( والليل إذا يغشى ) فلما بلغ ( فأندرتكم نارا تطفى ) وقع عليه البكاء فلم يقدر يتعدها من البكاء فتركها وقرأ سورة أخرى .

ووصف ( الأشقى ) بصلة ( الذي كذب وتولى ) ووصف ( الأتقى ) بصلة ( الذي يؤتي ماله يتزكى ) للإيدان بأن للصلة تسببا في الحكم .

وبين ( الأشقى ) و ( الأتقى ) محسن الجناس المضارع . وجملة ( يتزكى ) حال من ضمير ( يؤتي ) وفائدة الحال التنبيه على أنه يؤتي ماله بقصد النفع والزيادة من الثواب تعريضا بالمشركين اللذين يؤتون المال للفخر والرياء والمفسد والفجور .

والتزكي : تكلف الزكاء وهو النماء من الخير .

والمال : اسم جنس لما يختص به أحد الناس من أشياء ينتفع بذاتها أو بخراجها وغلتها مثل الأنعام والأرضيين والآبار الخاصة والأشجار المختص به أربابها .

ويطلق عند بعض العرب مثل أهل يثرب على النخيل .

وليس في إضافة اسم الجنس ما يفيد العموم فلا تدل الآية على أنه آتى جميع ماله .